البناء الدرامى فى مرافعة شيشيرون الجنائية الأولى: "فى الدفاع عن سسيكستوس روسكيوس أمرينوس"

د. محمد رضا قطب علام

كلية الآداب- جامعة عين شمس

يهدف هذا البحث إلى توضيح الحبكة الدرامية والقانونية فى مرافعة شيشرون الجنائية الأولى "فى الدفاع عن سيكستوس روسكيوس أمرينوس"، ويرتكز على المحاور الآتية: المغزى السياسى والإجراء القضائى للمرافعة، ومنطقية عرض وقائع القضية، وعقوبة جريمة قتل الأب (Parricidum)، ثم البناء الدرامى للمرافعة. كما يسعى البحث كذلك إلى الإجابة على السؤال الذى يثير الحيرة حتى وقتنا هذا: هل افتقرت قضية شيشرون الجنائية الأولى "فى الدفاع عن روسكيوس أمرينوس" التى أكسبته شهرة ومجد عبر التاريخ - إلى الحقائق، والماديات، والأدلة، والشهود؟

قبل مناقشة البناء الدرامى فى مرافعة شيشرون سالفة الذكر كعمل فنى, يجدر القول إن الوحدة العضوية شرط ضرورى للفن[١], إذ يقرر أفلاطون (Plato) أن كل عمل فنى يجب أن يتركب كما يتركب الكائن الحى, و أن يكون كل عضو متناسقاً و متناسباً مع بقية الأعضاء[٢], و هو يعنى بذلك أن يحتوى العمل الفنى على السلسلة الثلاثية العضوية المترابطة و المتناسقة: البداية و الوسط و النهاية[٣], حيث يذكر أرسطو (Aristoteles) [٤] أن البناء الدرامى للأمثل و الأفضل ينبغى أن يحتوى على بداية تشمل تمهيداً للأحداث الخاضعة لقانون الضرورة أو الإحتمال, و وسط يعرض الأحداث و تفاصيلها الدقيقة ثم نهاية تشمل الحل أو النتيجة. و كذلك ينبغى أن يترابط البناء الدرامى منطقياً[٥], و يتجانس من ناحية الشكل و المضمون لأن الدراما بناء عضوى لا تجوز فيه زيادة و لا يصح له نقصان[٦] مثلما هو الحال فى نص المرافعة موضوع الدراسة (انظر الرسم التوضيحى المرفق).

يعطى أرسطو تعريفاً للخطابة بأنها القدرة على النظر فى كل ما يوصل إلى الإقناع فى أى مسألة من المسائل. و تتمحور نظرية أرسطو فى مقاله " الخطابة " حول اثبات أن الخطابة فن من الفنون و أنها جزء مترابط فى منظومة فلسفية شاملة[٧]. إذ يرى أرسطو أن الخطابة فن شقيق للجدل[٨], و هما فرعان لفن الإستنتاج المحتمل, و كل منهما يخاطب الغير, و يحاول إقناع الغير. و من المزمع أن يبرز البناء الدرامى فى المرافعة - موضوع الفحص و الدراسة – مدى صحة و مصداقية المناقشة, و منطقية تسلسل الوقائع و الأحداث, أسلوب سرد الحقائق[٩], و ماهية وسائل التأثير و الإقناع التى ينبغى أن تتفق مع طبيعة جمهور المستمعين من القضاه فى المحكمة الجنائية التى نظرت فيها قضية روسكيوس أمرينوس.

١- المغزى السياسى والإجراء القضائى:

يذكر المؤرخ الرومانى أولوس جيلليوس (Aulus Gellius)[١٠] أنه عندما كان الديكتاتور لوكيوس كورنيليوس سلا (L. Cornelius Sulla) قنصلاً للمرة الثانية فى عام ٨٠ ق.م, ويشاركه فى القنصلية زميله كوينتوس كايكيليوس ميتللوس (Q. Caecilius Metellus), ترافع شيشرون وكان يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً فى قضية سيكستوس روسكيوس (Sextus Roscius), الذى كان مُداناً بقتل والده, وكانت هذه هى القضية الثانية التى ترافع فيها بعد مرافعته فى قضية بوبليوس كوينكتيوس (Pro. P. Quinctio).

لا يقتنع بعض الباحثين برواية المؤرخ الإغريقى بلوتارخوس (Plutarchus) بأن شيشرون تعهد بالدفاع عن قضية سيكستوس روسكيوس, وهى القضية الجنائية (Causa Publica) الأولى له, وأنه كسب القضية وكان معجباً جداً بما فعله وأجبره خوفه من سولا بالقيام برحلة إلى الخارج فى بلاد الإغريق زاعماً أنها لأسباب صحية[١١]. إذ يعتقد هؤلاء الباحثون أن مرافعة شيشرون "فى الدفاع عن روسكيوس أمرينوس" تافهة من الناحية السياسية[١٢], وأن الرحلة التى قام بها إلى بلاد الإغريق بعد أن كسب القضية ترجع إلى دواعى صحية بالفعل[١٣].

كان شيشرون يفتخر دائماً بشجاعته لأنه تعهد بالدفاع عن سيكستوس روسكيوس, وهاجم أهم شخصية من أعوان الديكتاتور سولا. والمقربين إليه إذ كان مبتغاه الحقيقى هو مهاجمة سولا نفسه[١٤]. والجدير بالقول أن شجاعة شيشرون وإقدامه كانتا ضروريتين جداً لكسب هذه القضية, وكان تعهده بالدفاع عنها يعتبر من

اكثر المخاطر التى واجهته فى حياته, وقد تمسك شيشرون بقدر الإمكان بذكر حقيقة أنه محام مبتدئ, وليس له اسم يُذكر بعد لكى يقلل من قدر الخطر الذى قد يواجهه, وكان يشير باستمرار إلى الديكتاتور سولا باحترام وحذر شديدين, فقد عزله عن أتباعه وألقى اللوم كله عليهم [١٥] هذا بالرغم من أنه كان يكرهه بشدة[١٦]. وقد ذكر فى أكثر من موضع فى المرافعة أن حماس الشباب وحده هو الذى دفعه لمساعدة موكله [١٧].

ينتقد شيشرون فى كتابه "الخطيب" (Orator) أسلوبه الخطابى وإطنابه (Abundantia) فى فترة شبابه, ومع ذلك يذكر كم كان الإعجاب كبيراً بالتركيبات اللغوية القوية المؤثرة التى استخدمها للتأثير فى نفوس ومشاعر المستمعين عندما تكلم عن عقوبة جرائم قتل الآباء أثناء مرافعته "فى الدفاع عن روسكيوس أمرينوس", وأنه بدأ يلاحظ أنها قد أصبحت أقل عنفاً وحدة بمرور الوقت. ويقتبس شيشرون مثالاً على ذلك من الفقرة الثانية والسبعين من المرافعة هكذا:

"ما هو الشئ العادى مثل التنفس للأحياء, ومثل الأرض للموتى, ومثل البحر لمن قذفت بهم الأمواج, ومثل شاطئ البحر لمن ألقى بهم البحر, وهم يعيشون هكذا طالما يستطيعون لدرجة أنهم لا يستطيعون التنفس من الهواء. وهم يموتون هكذا لدرجة أنهم لا يغتسلون أبداً بالماء. وأخيراً يُلقى بهم إلى الشاطئ هكذا لدرجة أنهم لا يستريحون على الصخور حتى بعد موتهم" [١٨].

نُظرت قضية سيكستوس روسكيوس أمرينوس المتهم بقتل أبيه (Parricidum) فى عام ٨٠ ق.م أمام محكمة الجنايات, وكانت تُعرف بالمحكمة الخاصة بالقتلة (Quaestio Inter Sicarios) [١٩], وهى إحدى المحاكم التسع الدائمة (Novem Quaestiones Perpetuae) فى تلك الفترة. ويرجع الفضل فى إنشائها وتطويرها إلى الديكتاتور سولا. وقد أدى ذلك إلى تناقص المحاكمات أمام الشعب (Iudicia Populi) [٢٠].

كان القضاة (Praetores) أثناء فترة حكم الديكتاتور سولا يُختارون من أعضاء مجلس السناتو حيث إنه أعاد وظيفة القاضى إلى أعضاء مجلس السناتو بعد أن كانت فى أيدى أعضاء طبقة الفرسان طبقاً للقانون القضائى (Lex Iudiciaria)[٢١] الذى استصدره نقيب العامة جايوس جراكوس, وبعد فترة حكم سولا كان القضاة فى عام ٧٠ ق.م يُختارون من طبقات المجتمع الثلاث: أعضاء مجلس السناتو, والفرسان, ونقباء العامة.

كان رئيس المحكمة (Iudex Quaestionis) يُطلق عليه اسم كوايستور (Quaesitor) – وتُشتق هذه الكلمة من فعل (quaeso), وهى صورة قديمة للفعل (quaero) بمعنى "يتحرى قانوناً عن أمر ما", أو "يستفسر عن شئ ما". وكان يُختار بالقرعة من بين القضاة, وكانت المحكمة تضم ما بين واحد وخمسين, أو خمسة وسبعين قاضياً وهم الذين يشكلون هيئة المحلفين, وبعدما يتسلم مهام وظيفته كان يصدر لائحة (edictum) يوضح فيها القواعد الجديدة للفصل فى القضايا التى ليس لها أحكام فى القوانين القائمة أو فى العرف والتقاليد السائدة فى المجتمع.

تولى القاضى فانيوس (M. Fannius) رئاسة المحكمة الجنائية التى نظرت فى قضية سيكستوس روسكيوس, وكان قد سبق له أن رأس هذه المحكمة قبل فترة حكم سولا, وكان يتصف بالصرامة والشجاعة [٢٢].

٢- وقائع قضية سيكستوس روسكيوس أمرينوس:

يمكن تلخيص وقائع قضية سيكستوس روسكيوس على النحو التالى:

كان والد المتهم ويُدعى روسكيوس أمرينوس رجلاً ثرياً, ومواطناً بارزاً يستحوذ على ممتلكات تشمل ثلاث عشرة إقطاعية فى بلدة أميريا (Ameria), وكان يؤيد طبقة الأشراف الموالين للديكتاتور سولا, وبذلك استطاع الإفلات من قوائم المصادرات التى فرضها سولا على أعدائه, والمناهضين له سواء من أعضاء مجلس السناتو أو أعضاء طبقة الفرسان.

كان روسكيوس أمرينوس يقيم فى روما بصفة دائمة, وتربطه علاقات صداقة متينة بأعرق العائلات الرومانية مثل عائلة ميتللوس (Metelli), وسكيبيو (Scipii), وفى ذات ليلة عندما كان عائداً من وليمة عشاء كان مدعواً إليها هوجم وأُغتيل بالقرب من حمامات بالاكينا (Pallacina), وكان ابنه المتهم موجوداً فى ذلك الوقت فى أميريا, وكان مشغولاً بالإشراف على شئون الأسرة وإدارة ممتلكات والده.

كان قد نشب عداء طويل وقديم بين القتيل واثنين من أميريا وهما: تيتوس روسكيوس كابيتو (Titus Roscius Capito), وتيتوس روسكيوس ماجنوس (Titus Roscius Magnus), وكان ماجنوس موجوداً فى روما عندما أُغتيل روسكيوس أمرينوس, وأرسل فى الحال شخصاً يُدعى ماللیوس جلاوكيا (Mallius Glaucia) إلى أميريا ليخبر أخاه ماجنوس بأمر الاغتيال, ولم يذهب ماللیوس جلاوكيا إلى ابن القتيل سيكستوس روسكيوس ليخبره بمقتل والده, وفى خلال أربعة

أيـام مـن الاغتيـال وصـلت أخبـار هـذه الحادثـة المروعـة إلـى خريسـوجونوس (Chrysogonus) - وهو معتوق الديكتاتور سـولا, ومـن أفضـل أتباعـه ولـه حظـوة عنده, ويعتبـر مـن أقـوى الرجـال فـى الدولـة, وكـان موجـوداً فـى معسكر سـولا فـى فولاتيراى (Volaterrae) عندما وصلت هذه الأخبار إليه - وعنـدما أحاطـه الأخـوان روسـكيوس علمـاً بـأن القتيـل سيكسـتوس روسـكيوس قـد تـرك وراءه ثـروة ضـخمة وممتلكـات هائلـة لابنـه, وضـع خريسـو جونـوس خطـة مـع الأخـوين روسـكيوس للاستيلاء على تلك الممتلكات والتخلص من ابن القتيل.وأدرج خريسـو جونـوس اسم القتيل فى قـوائم مصـادرات سـولا مـن أجـل مصـادرة ممتلكاتـه وتصـبح حقـاً لخزانـة الدولة بالرغم من أن ميعاد قوائم المصادرات قد انتهى وأُقفل منذ غرة يونيو عـام ٨١ ق.م [٢٣], وبالرغم من أن صلة القتيـل روسـكيوس أمرينـوس بطبقـة الأشـراف كانـت معروفة لدى الجميع.

فـى مـزاد علنـى (Auctio) تـابع للدولـة بيعـت ممتلكـات القتيـل روسـكيوس أمرينوس, ورسا المزاد على خريسوجونوس واشترى خريسوجونوس تلك الممتلكـات وهـى ثـلاث عشـرة إقطاعيـة بمبلـغ زهيـد وتافـه جـداً، ألفـان سيسـتركيس, ووزعهـا خريسوجونوس بينـه وبـين شـركائه كـالآتى: كـان نصـيب تيتـوس روسـكيوس كـابيتو ثلاث إقطاعيات, وحصل خريسوجونوس على العشر الباقية الأخـرى, وعـين تيتـوس روسكيوس ماجنوس وكيلاً له, ومديراً لأعماله, ومشـرفاً علـى إقطاعياتـه العشـر فـى أميريا, وذهب ماجنوس إلى أميريا واستولى على ممتلكـات القتيـل كمـا اسـتولى علـى منزله بالقوة الغشوم وطرد ابنه شر طردة.

استشاط سكان أميريا جميعهم غيظاً وغضباً عندما علموا بهذا الأمر, وأصدر مجلس مدينة أميريا قراره بأن يذهب وفد مكون من عشرة رجـال (Decem Primi) من أبرز أعضـائه, وكـانوا يعرفـون باسـم (Decuriones) لمقابلـة سـولا فـى معسكره فى فولاتيراى, ويوضحون لـه شخصـية القتيـل البـارزة, وكيـف كـان يسـاعد بقوة وحماس حزب الأشراف, ويحثونه لحماية اسم القتيل وسمعته بأن يبعد اسـمه مـن قوائم المصـادرات, ويعيـد لابنـه ميراثـه الشـرعى, ومـما يـدعو للدهشـة والتعجـب أن تيتوس روسكيوس كابيتو كـان واحـداً مـن هـؤلاء الموفـدين العشـرة, وبطبيعـة الحـال استطاع أن يفسد خططهم كلها, فعندما وصل الوفد إلـى معسـكر سـولا, كـان عليـه أن يمـنعهم مـن الوصـول إلـى سـولا ومقابلتـه شخصـياً, وإخبـاره بحقيقـة الأمـر, وأقنـع خريسوجونوس بالخسارة التى ستلحق به إذا تم إلغـاء بيـع ممتلكـات القتيـل, واسـتطاع

فى الوقت نفسه إقناع الوفد بأن خريسو جونوس الذى يستحوذ على أقوى نفوذ فى الدولة والمقرب الأول إلى سولا. أعطى وعداً بأنه سيبعد اسم القتيل من قائمة المصادرات وأنه سوف يساعد ابن القتيل لاستعادة ميراثه. واضطر الوفد للرجوع إلى أميريا و لم يحقق أى نتيجة لأنه فشل فى مقابلة سولا شخصياً, وأدرك المتآمرون الثلاثة أنهم لن يهنأوا بممتلكات روسكيوس أمرينوس التى استولوا عليها بالتدليس والتزوير طالما أن ابنه الوريث الشرعى لا يزال على قيد الحياة, لذلك حاولوا اغتياله مرات عديدة, ولكنهم أخفقوا فى كل محاولة, واضطر المتهم سيكستوس روسكيوس بناء على نصيحة أصدقائه ومعارفه للفرار واللجوء إلى روما, وهناك وجد الحفاوة والتكريم والترحيب والحماية فى منزل السيدة كايكيليا (Caecilia), صديقة والده.

وأخيراً دبر المتآمرون الثلاثة خطة جهنمية للتخلص من المتهم نهائياً وهى اتهامه بجريمة "قتل الأب" (Parricidum) عندما عرفوا أنه قد سبق وأن نشأ سوء تفاهم بسيط وتباعد بين الأب وابنه منشأه أن الأب كان يخالط أرقى العائلات الأرستقراطية المتحضرة, وأصبح غير راض عن سذاجة ابنه, ولا يعجبه سلوكه الريفى بتاتاً.

واختار المتآمرون شخصاً يُدعى جايوس أروكيوس (Gaius Erucius) كمدعٍ (Accusator) ضد سيكستوس روسكيوس, وكان أروكيوس هذا صاحب خبرة طويلة فى مجال الإدعاء, ويتمتع بسمعة سيئة للغاية, ولم يكن يعرف القتيل أو شيئاً ما عن شخصيته وكذلك لم يكن يعرف شيئاً عن ابنه. كما جلب المتآمرون كذلك بعض الشهود إلى المحكمة ليشهدوا زوراً ضد سيكستوس روسكيوس لإقامة الدليل ضده. علاوة على ذلك لم يسمح المتآمرون بتسليم عبيد القتيل لاستجوابهم حيث أن العبيد انتقلوا إلى خريسوجونوس وأصبحوا فى حوذته, ويجدر التنويه بأن هؤلاء العبيد رافقوا سيدهم القتيل إلى روما,وكانوا ملازمين له طوال فترة إقامته بها [٢٤]. وظن المدّعون أن الخوف من الديكتاتور سلا سيمنع أى شخص من اتهام أحد أتباعه, وانه لن يتجرأ أى شخص على تولى الدفاع عن سيكستوس روسكيوس أو حتى التفوه بكلمة واحدة عن موضوع بيع ممتلكات القتيل. وبالفعل كان الخوف مسيطراً على عدد كبير من أعضاء مجلس السناتو, ولم يتجرأوا على مواجهة خريسوجونوس, أقوى أتباع سلا, وأكثر المقربين والمحببين إليه, وبالرغم من ذلك كان بعضهم يظهر ويبدى الود والتعاطف مع المتهم فى قضيته العادلة إيماناً منهم ببراءته, ومنهم النبيل الشاب, ماركوس فاليريوس ميسالا (M. Valerius Messalla), الذى حثّ

المحامى الشاب شيشرون وأقنعه بأن يتولى الدفاع عن قضية سيكستوس روسكيوس أمرينوس.

٣- عقوبة جريمة قتل الأب (Parricidum):

دبر المتآمرون الثلاثة خريسوجونوس, وتيتوس روسكيوس كابيتو,وتيتوس روسكيوس ماجنوس خطة جهنمية للتخلص من ابن القتيل سيكستوس روسكيوس أمرينوس نهائياً وهى اتهامه بجريمة قتل الأب (Parricidum), وتعتبر هذه الجريمة من أبشع الجرائم وعقوبتها من أبشع العقوبات فى القانون الرومانى. وهذا يدعونا بطبيعة الحال إلى الحديث فى المقام الأول عن عقوبة جريمة قتل الأب عند الإغريق والرومان.

كان الإغريق والرومان يعتقدون فى قوانين العدالة الإلهية، ويتصورون أن ذيوس , كبير الآلهة يدير شئون العدالة والقدر فى الكون, ويرسل ربات الغضب والانتقام وراء الآثمين [٢٥], حيث تتعقبهم فى كل زمان ومكان, وتجعل حياتهم شقاء وجحيماً, حتى يصلوا إلى مرحلة الهوس والجنون التام. وكان منظر ربات الغضب يبعث على الخوف, ويثير الرعب والفزع فى قلوب المجرمين [٢٦], ويذكر شيشرون [٢٧] أن ربات الغضب كن يظهرن فى الظلام الدامس, وكن يحملن المشاعل المتوهجة وهن يطاردن القتلة فى كل مكان يذهبون إليه.

تصور الإغريق والرومان أن دم الأب والأم يستحوذ على قوة إلهية عظيمة[٢٨], وأن كل قطرة من هذا الدم يتوهمها الإنسان لأنها تسرى فى عقله وقلبه, لذلك تسيطر الأفكار الشريرة ووخزات الضمير على قاتل أبيه, وبالتالى لا يستطيع أن يهنأ بلحظة سلام وسكينة, ولا يستطيع حتى التنفس بدون أن يشعر بالخوف والفزع.

كذلك اعتقد الإغريق والرومان أن ربات الغضب والانتقام يسعين من أجل القصاص للآباء من الأبناء الملطخين بدمائهم, وأنهن يلازمن مقترف هذه الجريمة النكراء والشنعاء نهاراً وليلاً وحتى فى نومه, ويعذبنه ويرعبنه وتقوده إلى الجنون المطلق [٢٩].

تتضمن مرافعة شيشرون الجنائية "فى الدفاع عن روسكيوس أمرينوس" عقوبة جريمة قتل الأب وهى أن مرتكبى هذه الجريمة يُربطون ويُوضعون فى حقيبة وهم لا يزالون على قيد الحياة, ويُلقى بهم فى النهر أو البحر. وهكذا يُحرمون من

عناصر الطبيعة الأربعة: السماء, والشمس, والماء, والأرض [٣٠]. ويصف شيشرون حالهم على النحو التالى: أنهم إذا عاشوا فإنهم لا يقدرون على التنفس من الهواء, وإذا ماتوا, فإن الأرض لن تمس عظامهم, وتلقى الأمواج بهم ولا يغتسلون أبداً بالماء. ويُلقى بهم إلى الشاطئ, ولكنهم لا يستريحون على الصخور حتى بعد موتهم [٣١].

يشمل قانون العقوبات الرومانى القديم عقوبات بشعة ومختلفة وأنواعاً متعددة للتعذيب والتمثيل الجسمانى مثل بتر الأعضاء وغيرها من الاختراعات الشاذة التى برع فيها الرومان مثل إلقاء قاتل أبيه فى البحر أو النهر وهو مربوط ومصحوب لمصيره مع كلب وديك وأفعى وقرد داخل كيس [٣٢]. وكان الرومان يعتقدون أنه حتى لو تمكن القاتل من الإفلات من عقوبة البشر, فإن الآلهة سوف توقع عليه العقاب بطريقتها الخاصة, وفى التوقيت الذى تختاره [٣٣].

يوضح جستينان (Justinian) [٣٤] فى كتابه "المبادئ القانونية" (Institutiones) أن الغرض من ربط قاتل الأب ووضعه داخل كيس, والإلقاء به فى أعماق البحر أو النهر هو حرمانه من التمتع بعناصر الحياة الأساسية الأربعة: السماء, والشمس, والماء, والأرض.

يعلق لاند جراف (Landgraf) [٣٥]على تلك العقوبة بأن الكلب والديك كانا فى الأزمنة الغابرة من الحيوانات المقدسة. فالكلب حامى النار والمنزل. والديك رسول الصباح, ورمز الضوء والشمس. لذلك عندما يُلقى بقاتل الأب فى البحر فإن هذا العنصر يطهره من جريمته. وحيث أن الكلب والديك يرمزان إلى الخير بينما يرمز كل من القرد والأفعى إلى الشر, فإن اتحاد الزوجين معاً داخل الكيس يمثل الصراع بين الخير والشر.

٤- البناء الدرامى للمرافعة:

يتبع تركيب مرافعة شيشرون الجنائية الأولى "فى الدفاع عن سيكستوس "روسكيوس أمرينوس" نظرية أرسطو[٣٦] بالنسبة لتركيب الخطبة أو المرافعة (Dispositio Orationis) وبنائها , والتى ذكرها أيضاً شيشرون فى كتابه "الخطيب" (Orator) [٣٧] بحيث تنقسم المرافعة إلى أربعة أجزاء أساسية على النحو التالى:

أولاً: المقدمة (Prooemium أو Exordium):

يـذكر أرسـطو (Aristoteles) [٣٨] أن المقدمـة كـالمطلع فـى الشـعر أو الاستهلال فى العزف على الناى لأن كل هذا يمثل بدايات وتمهيداً لما سوف يأتى بعده. كما يشير كذلك إلى مقدمات الخطب والمرافعات القضائية كالآتى:

"يجـب أن نـدرك أن لهـا نفـس التـأثير الـذى تحدثـه مقـدمات المسـرحيات (τά προοίμια) ومقدمات الملاحم(τών δράματων οι πρόλοχοι) إذ أن هذه المقدمات تكون دالة (δείδμα) على موضوع الدعوى الذى سوف يتم معالجته".

تتناول مقدمة المرافعة (الفقرات ١ - ١٢) الموضوعات الثلاثة الآتية:

١- المحامى (Advocatus) وممثل الدفاع (Patronus).

يذكر شيشرون فى افتتاحية أو استهلال مرافعته أن سبب اختياره للترافع فى هذه القضية الجنائية هو جرأتـه, وحماسـه, وحداثـة سـنه. وتعـرض المقدمـة التنـاقض (Paradoxa) [٣٩] وهو أن شيشرون, الشـاب الصـغير ولـيس النـبلاء الـذين حضـروا فقط ليجلسوا فى قاعة المحكمة بجواره – نهض من مقعده ليترافـع فـى القضـية لأنهـم تنصـلوا مـن مسـئولية الـدفاع عـن المـتهم بسـبب حساسـية الموضـوع السياسـى الـذى تتعرض له القضية, ورأوا أنه يمكن أن يتولى الدفاع عن المتهم وهو ابن صديق لهم - شخص آخر ليس لديه سجل سياسى لأنه إذا نطق أحدهم بكلمة مـا يجـب أن تُقـال فـى هذه القضية, فسوف يعتقد شخص ما أنه قال أشياء أكثر مما قد قالها [٤٠]. ويتضح بعد ذلك (الفقرة ١٤٩) أن النبيـل الشـاب, مـاركوس فـاليريوس ميسـالا (M. Valerius Messalla) اعتـذر عـن تـولى الـدفاع عـن المـتهم بـدافع السـن (Aetas), والخجـل (Pudor), وكان يصغر شيشرون بعامين فقط.

يـرى كينـزى (Kinsey) [٤١] أن النـبلاء كـانوا مهتمـين بالقضـية, وأظهـروا تأييدهم وتعاطفهم, عندما كلفوا محامياً (Advocatus) شـاباً للترافـع أمـام المحكمـة لأنهم رأوا أن القضية بسيطة, ولا تمثل شأناً أو وزناً. كذلك يعتقد كينزى أن شيشرون استخدم نفوذ النبلاء الذين جلسوا بجانب الدفاع ليؤثروا فـى الادعـاء ويضـغطوا علـى القضاة [٤٢] الذين كانوا يعرفون القتيل أثناء إقامته فى روما, وكانوا مستعدين لمساعدة ابنه بدافع من الوفاء لذكراه.

٢- موضوع القضية:

ادعى خريسوجونوس (Chrysogonus), أقوى شخصية فـى الدولـة, وكـان المقرب الأول إلـى الـديكتاتور سـولا - أنـه اشـترى ممتلكـات والـد المـتهم سيكسـتوس

روسكيوس أمرينوس, والتى تُقدر بستة ملايين سيستركيس (Sesterces) بمبلغ ألفين سيستركيس من الديكتاتور سولا, وأدان المتهم بتهمة اغتيال والده لكى يستطيع الاحتفاظ بميراثه الفخم ويتمتع به كيفما يشاء.

٣- القضاة (Iudices):

اختار مجلس السناتو القضاة الصارمين, المتمتعين بالنزاهة والحكمة, واستدعاهم إلى المحكمة, وطالب شيشرون هؤلاء القضاة بأن ينصتوا إلى مرافعته باهتمام وتمعن وصبر. كما ناشد كذلك رئيس المحكمة, ماركوس فانيوس (M. Fannius) بأن يكون صارماً وحازماً عند النظر فى هذه القضية لكيلا تُرتكب جرائم أخرى مماثلة سواء فى الخفاء أو فى الفوروم أو حتى فى المحكمة.

يلى المقدمة تمهيد (الفقرتين ١٣ – ١٤) يسبق سرد وقائع القضية, ويتناول سبب القضية وهو أن المدعين سلبوا جميع ممتلكات المتهم, ولم يتركوا له شيئاً سوى المصائب, وأولها الحزن لفقدان والده, والفقر الشديد, وانهم حاولوا اغتياله أكثر من مرة, وأخفقوا فى تحقيق ذلك.

ثانياً: سرد وقائع القضية (Narratio Accusationis):

يقول أرسطو بالنسبة لعرض وسرد وقائع القضية التى تلى المقدمة: "يجب على الخطيب ألا يثير فيها إلا ما يخص دفاعه وهو أن يبرهن فيها أن موضوع النزاع لم يحدث أو بالفعل حدث ولكنه ليس خطأ أو انه لا جرم فيه, أو ليس من السوء بالدرجة التى يتوهمها الخصم, ويجب أن يتحدث فى مرافعته عن الأحداث التى وقعت بأنها قد وقعت فى الماضى بوصفها أحداث انصرمت وانقضت, إلا إذا أراد منها إثارة الشفقة عليه أو إثارة الغضب ضد خصمه, فعندئذ تروى بصيغة الزمن الحاضر(٤٣).

يشمل سرد وقائع القضية (الفقرات ١٥ – ٣٤), ويتناول النقاط الثلاث الآتية:

١- شخصية القتيل ومكانته الاجتماعية, والظروف التى أدت إلى اغتياله.

٢- الظروف والملابسات والحوادث التى طرأت بعد اغتيال روسكيوس أمرينوس.

٣- استطراد يسبق المرافعة.

يبين الاستطراد الذى يسبق المرافعة (الفقرات ٢٩ – ٣٤) أنه عندما يأس

المتآمرون من اغتيال ابن القتيل, قرروا التخلص منه نهائياً باتهامه بقتل أبيه, وأعدّوا بأموال المتهم البرئ شهوداً ومُدّعين ضده, واعتقدوا أن المحامين سوف يخذلونه ولكن المحامى الشاب شيشرون تعهد بالدفاع عنه بالرغم من الرعب والخوف والأخطار التى قد تهدده. كذلك يحتوى هذا الاستطراد على قصة مشهورة فى المجتمع الرومانى آنذاك تتعلق بدعوى باطلة أقامها قاتل ضد شخص برئ بعدما اعتدى عليه ليضمن عدم إفلات ضحيته من قبضة يديه, وتتلخص كالآتى:

"هاجم جايوس فيمبريا (C.Fimbria) بخنجره كوينتوس سكايفولا (Q.Scaevola) - أبرز الرجال فى الدولة وأكثرهم وقاراً, وكان الشعب جميعه يحبه ويقدره ويبجله. وعندما أدرك أن كوينتوس سكايفولا ربما يبقى على قيد الحياة, أقام دعوى باطلة ضده فى المحكمة. وعندما سُئل فى المحكمة عن سبب اتهامه لشخص يحبه ويمدحه جميع الشعب, أجاب بجنون: لأنه لم يتلق الخنجر كله بجسده".

فى هذا الاستطراد تتضح ملامح شخصية شيشرون [٤٤] كواحد من أعضاء طبقة الفرسان (Equites) فى أول قضية جنائية له, وليس له أى سجل سياسى سابق, وحريص كل الحرص على ألا يبدى أى إشارة تنم عن الغرور أو التكبر أمام هيئة المحكمة الموقرة وجميع قضاتها من طبقة مجلس السناتو ليؤكد للقضاة أنه ينتمى إلى مدينة أربينوم (Arpinum) مثل القنصل جايوس ماريوس (C. Marius), ولكنه بالرغم من ذلك غير متعاطف مع الشعبيين (Populares) فى الحرب الأهلية الدائرة.

كذلك يقدم شيشرون مقابلة (Antithesis) بين هجوم المدعى أروكيوس (Erucius) على المتهم روسكيوس وبين هجوم فيمبريا على سكايفولا [٤٥], فالأول يشتكى لأن المتهم روسكيوس أفلت من قبضة يديه ولم يستسلم للاغتيال, والثانى يشتكى لأن سكايفولا لم يتلق الخنجر كله فى صدره ولم يستسلم للاغتيال. علاوة على ذلك تتشابه شخصية فيمبريا مع كل من ماجنوس, وكابيتو من زاوية الجنون والتهور (Audacia) [٤٦].

ثالثاً: المعالجة (Tractatio):

يرى أرسطو[٤٧] أن البراهين التى يقدمها الخطيب أو المحامى لكى يقنع مستمعيه بمصداقية ما يقول يجب أن تعتمد فى المقام الأول على القياس المنطقى الذى يقدمه للقضاة. كذلك يهتم أرسطو بشخصية الخطيب بمعنى طبعه وصفاته

السلوكية. ويقول إن الخطيب يجب أن يعتمد فى تقديم البرهان على ما يقول, وإن الخطبة يجب أن تحتوى على ثلاثة أنواع من البراهين تأتى شخصية المتكلم فى مقدمتها.

تحتوى المعالجة (Tractatio) أو مناقشة موضوع القضية Argumentatio) وهى تقسيم الدفاع (Partitio Defensionis) - على ثلاثة أجزاء: تفنيد الاتهام, تقديم الأدلة والبراهين، ثم الهجوم على الخصم (الفقرات ٣٥ – ١٤٢) على النحو التالى:

١- تفنيد الاتهام (Refutatio Accusationis):

يفند شيشرون (الفقرات ٣٥ – ٨٢) المزاعم والأسس والأسانيد التى أقام عليها المدعى أروكيوس (Erucius) ادعاءه المتمثل فى جريمة قتل الأب (Parricidum), حيث يذكر شيشرون أن المتهم لم يفكر أو يخطط لقتل والده, ولم تكن لديه النية أو الباعث أو الدافع لارتكاب جريمة القتل العمد. فلقد كانت تربطه بوالده علاقات طيبة. إذ إن والد المتهم لم يفكر أبداً فى أن يحرمه من الميراث, وأن المدعى أروكيوس لا يستطيع إثبات التهمة المنسوبة إلى المدعى عليه[٤٨]. وإنه من الضرورى أولاً أن يثبت أروكيوس أن المدعى عليه كان شخصاً ذا طابع شرير لكى يؤكد ارتكاب المدعى عليه لهذه الجريمة الشنعاء النكراء, ولكن العكس كان صحيحاً, فإن المدعى عليه كان يتمتع بشخصية مهيبة ومحترمة. بالإضافة إلى ذلك, كان للمدعى عليه الحق فى الانتفاع ببعض مزارع والده. كذلك يذكر شيشرون أن جريمة قتل الأب تعتبر جريمة شنيعة وفظيعة وتعوزها الأدلة المادية الواضحة والقوية لإدانة شخص ما بها, وأن المدعى عليه لم يملك الوسيلة الكافية لارتكاب مثل هذه الجريمة سواء بنفسه أو حتى بتكليف عبيد أو أفراد لكى يرتكبوها.

لم يفند شيشرون ادعاء أروكيوس بأن المتهم, ابن القتيل كان ريفياً, فظاً, إنطوائياً[٤٩], بل بالعكس, نلاحظ أنه يمدح شخصية المتهم الريفية ويشرح هذا السلوك والتناقض بين شخصية الأب الاجتماعى, والابن الانطوائى المنعزل عندما ذكر (الفقرات ٥٠ – ٥٢) الأسس والفضائل التى جعلت من روما أمة عظيمة, ويعقد مقارنة بين الفضائل[٥٠] التى يتميز بها أهل الريف مثل الحرص والاهتمام (Diligentia) والاقتصاد (Parsimonia), وبين الرذائل التى اشتهر بها أهل

المدينة مثل السعى وراء الشهوات واللذة (Libido) والتهور (Audacia). ويرى شيشرون أن روسكيوس يمثل الفضائل, ويمثل كل من ماجنوس, وكابيتو, وخريسوجونوس الرذائل. كذلك نلاحظ أن الفضائل تعبر عن المفهوم الفلسفى للمذهب الرواقى, وأن الرذائل تشير إلى المفهوم الفلسفى للمذهب الإبيقورى.

يعترض شيشرون على الرأى القائل أن إبعاد الأب وإقصائه لابنه بعيداً فى الريف يعتبر تفكيراً من جانبه لحرمان ابنه من الميراث [٥١], ويؤكد أن موافقة الأب وحبه لابنه بدت واضحة عندما جعله مسئولاً عن إدارة جميع إقطاعياته. هذا بالرغم من إدعاء بعض الباحثين الذين يقولون إن هذا لا يمثل شيئاً لأن إدارة الممتلكات كان يُعهد بها فى تلك الفترة إلى العبيد [٥٢]. علاوة على ذلك يفترض كينزى (Kinsey) [٥٣] جانبين مختلفين فى شخصية وحياة سيكستوس روسكيوس, الابن المتهم: أولهما، أنه زرع الشوفان وتراكمت عليه الديون ولم يستطع السداد وحاول أن ينقذ نفسه بالسرقة. ثانيهما، أنه انعزل عن المجتمع وعاش حياة انطوائية وانعزالية.نتيجة لذلك, أظهر الأب كراهيته لابنه وهدده بالحرمان من الميراث ولكن للأسف لم يفسر كينزى (Kinsey) أسباب انعزال الابن, ولم يقدم لنا حتى سبباً مقنعاً لتهديد الأب لابنه. كذلك لم يستطع الادعاء ربط المتهم بمسرح الجريمة لأن المتهم كان انطوائياً ومنعزلاً فى الريف, ولم يحظ بأصدقاء أو معارف فى المدينة يمكن أن يساعدوه فى ارتكاب الجريمة [٥٤].

اعتمد شيشرون على عامل مساعد لتوضيح الدافع وراء اغتيال والد موكله[٥٥] عندما استعان بالشخصية السياسية الشعبية المحبوبة, المتمثلة فى القاضى الشهير لوكيوس كاسيوس لونجينوس (L. Cassius Longinus) [٥٦] الذى اعتاد أن يطرح مبدأه القانونى فى جرائم القتل فى صيغة السؤال الآتى: "لمصلحة مُن؟" أو "مّن المستفيد؟" (cui bono?) [٥٧], حيث استند إليه شيشرون عندما تعقب الأثر الذى قاده إلى حقيقة أن كابيتو (Capito) يستحوذ على ثلاث إقطاعيات من ممتلكات القتيل وأن خريسوجونوس يمتلك الإقطاعيات العشر الباقية.

تؤكد المرافعات القضائية الرومانية التى وصلت إلينا أن الدفاع الجيد فى قضايا القتل والاغتيال يعتمد على إثارة الشك [٥٨] حيث نلاحظ أن شيشرون أسس دفاعه بإثارة الشك حول الآخرين استناداً إلى الأسلوب المفاجئ لإدراج اسم القتيل, والد المتهم بعد الميعاد القانونى المحدد [٥٩] فى قوائم مصادرة وبيع ممتلكات المحكوم عليهم بالإعدام فى مزاد علنى لصالح الدولة ـ تلك القوائم التى أصدرها الديكتاتور

سلا للتخلص من خصومه وأعدائه السياسيين [٦٠].

٢- اتهام الخصمين: كابيتو وماجنوس:

ينتقل شيشرون من مرحلة تفنيد التهمة إلى الهجوم المباشر على الخصوم (الفقرات ٨٣- ١٢٢), وفيها يحاول إلصاق التهمة بـ روسكيوس كابيتو (Capito), وروسكيوس ماجنوس (Magnus) عندما يستعرض أولاً سيرة حياة وشخصية كل منهما, ويشرح بعد ذلك ماذا تم؟ وماذا حدث؟ بعد اغتيال روسكيوس أمرينوس. ويبين أن ماجنوس كانت لديه دوافع وفرص عديدة لاغتيال والد المتهم. علاوة على ذلك كان سلوك كل من كابيتو وماجنوس مثيراً للشك بعد حادثة الاغتيال.

يلاحظ دايك (Dyck) [٦١] أن شيشرون لم يقدم دليلاً ملموساً ومقنعاً على أن ماجنوس وكابيتو مُدانان بجريمة محاولة قتل المتهم سيكستوس روسكيوس ولم يربط أى شخص من الأشخاص الثلاثة بأى جريمة قتل أخرى عدا جريمة اغتيال روسكيوس أمرينوس بالرغم من محاولته إلصاق التهمة بـ كابيتو [٦٢].

من الملاحظ أن شيشرون حاول أن يلقى بالشكوك حول شخصية كابيتو عندما ربط بينه وبين جلاوكيا (Glaucia) الذى جاء إلى أميريا بسرعة عظيمة جداً وفى ساعات قليلة فى نفس تلك الليلة التى وقعت فيها حادثة الاغتيال (الفقرة ١٩). وعندما وصل جلاوكيا إلى أميريا أسرع فى الحال إلى كابيتو ليبلغه أولاً بأخبار اغتيال روسكيوس (الفقرة ٩٦). وهذا يعنى أن الحادثة وقعت فى روما فى المساء, وكانت أخبار الاغتيال معلومة فى أميريا قبل الفجر (الفقرة ٩٧).

كذلك أثار شيشرون الشكوك حول دور كابيتو فى بعثة الرجال العشرة المكلفين من مجلس بلدية أميريا بالذهاب إلى سلا فى معسكره فى فولاتيراى (Volaterrae), وإقناعه بسلامة موقف القتيل السياسى, وحذف اسمه من قائمة المصادرات. إذ هاجم شيشرون كابيتو واتهمه بخيانة الثقة والأمانة (الفقرة ١١٧) لأنه عرقل البعثة من مقابلة سلا, ورجعوا إلى بلدتهم بأمل زائف ووعد من خريسوجونوس (الفقرة ١١٠) باستبعاد اسم القتيل من قائمة المصادرات.

٣- مهاجمة خريسوجونوس:

كذلك يهاجم شيشرون خريسوجونوس مباشرة (الفقرات ١٢٣ – ١٤٢).

يتبنى كينزى (Kinsey) [٦٣] وجهة النظر القائلة أن خريسوجونوس اشترى

ثلاث عشرة إقطاعية من ممتلكات القتيل روسكيوس, وفيما بعد أعطى بعضها إلى كابيتو [٦٤] ـ لا يثبت أنه أضاف اسمه إلى قائمة المصادرات أو إلى قائمة الممتلكات المعروضة للبيع فى المزاد العلنى لأنه سبق وأن اشترى قبل ذلك ممتلكات عائلات عديدة أخرى كانت مدرجة فى قوائم المصادرات [٦٥] ولكن عملية الشراء هذه ربما توضح أن خريسوجونوس قام بها بمفرده, وأن موضوع الاتفاق والشراكة التى أعلن عنها شيشرون [٦٦] ربما تكونت فيما بعد.

جدير بالذكر أنه توجد فجوة (lacuna) فى (نهاية الفقرة ١٣٢) النص اللاتينى [٦٧], وفيها يحاول شيشرون إثبات أن خريسوجونوس هو المؤلف الحقيقى للاتهام الذى تقدم به المدعى أروكيوس ضد سيكستوس روسكيوس, ويصف شيشرون حياة خريسوجونوس بأنها حياة ماجنة ومسرفة, ويعطى تحذيراً للقضاة بالعواقب الوخيمة والخطيرة التى ستجلبها اعتداءات مثل هؤلاء الناس على حياة الأرستقراطيين الأبرياء, وأنه يجب عليهم وضع حد لها وردعها. كما يبين شيشرون كذلك أن المتهم روسكيوس يطلب فقط من خريسوجونوس أن يبرىء ساحته من التهمة المنسوبة إليه ظلماً وعدواناً وهى جريمة قتل الأب (Parricidum), وأنه سوف يتنازل له بمحض إرادته عن جميع ممتلكاته, كما أن سوف يرضى ويقنع باستحواذه عليها.

رابعاً: الخاتمة (Peroratio):

يقول أرسطو[٦٨] بالنسبة لنهاية الخطبة أو المرافعة ـ إن الخاتمة واحدة فى جميع أنواع الخطب المختلفة وهى ذات أربعة أهداف:

١- حمل المستمع على تصديق ما يُقال له والاستخفاف بالخصم.

٢- التعظيم من شأن الأمور أو التقليل من أهميتها.

٣- إثارة عاطفة المستمع.

٤- تذكير المستمع بما قاله الخطيب فى الخطبة.

يقدم شيشرون دائماً خاتمة طويلة فى مرافعاته أمام المحاكم, وفى خطبه السياسية فى مجلس السناتو بحيث تتفق مع متطلبات الممارسة القضائية الرومانية, وبذلك تختلف خواتيم أو نهايات مرافعاته وخطبه عن النهايات المقتصرة فى مرافعات وخطب الخطباء الأتيكيين الذين اتخذهم مثلاً وقدوة له.

وبناء على ذلك الاختلاف يمكن القول إن شكل المرافعة أمام المحاكم كان يتفق مع شكل الخطبة السياسية التى كانت تُلقى فى مجلس السناتو.

يثير شيشرون عاطفة مستمعيه فى خاتمة المرافعة (الفقرات ١٤٣ – ١٥٤), ويذكَّرهم بما سبق وأن قاله فى خطبته كلها, ويعرض عليهم سبيل الخلاص من الأفعال المشينة التى يمارسها أشخاص أمثال خريسوجونوس, وروسكيوس كابيتو, وروسكيوس ماجنوس [٦٩], والتى تهدد النظام الجمهورى فى روما, ثم يتوسل شيشرون إلى القضاة بألا يسمحوا لـ خريسوجونوس بأن يسلب حياة الرجل الذى سبق أن جرده من ثروته وجميع ممتلكاته [٧٠].

مما سبق وبعد تحليل دقيق للبناء الدرامى فى مرافعة شيشرون الجنائية الأولى "فى الدفاع عن سيكستوس روسكيوس أمرينوس" يتضح لنا أن بناء المرافعة جاء وكأنه تطبيق عملى لنظرية أرسطو بالنسبة لتركيب وبناء المرافعة، ويتفق معها شكلاً ومضموناً ولم يحد عنها قيد أنملة، حيث وظف شيشرون جميع أركانها لتحقيق أهدافه، وكسب قضيته بإتقان المحامى ومقدرة الخطيب. كذلك أكد البحث الآراء التى يتبناها بعض الباحثين [٧١] المتعلقة بالمضمون القانونى ـ القائلة إن شيشرون حصل على البراءة فى قضية جنائية استندت إلى الاحتمال, ولم تستند إلى الحقائق والماديات, وإنها كذلك اعتمدت على تأثير النبلاء الذين حضروا إلى قاعة المحكمة ليجلسوا بجوار الدفاع لممارسة الضغط على القضاة [٧٢] الذين يعرفون القتيل أثناء فترات إقامته فى روما, وكانوا مستعدين لمساعدة ابنه بدافع من الولاء والوفاء لذكراه [٧٣].

إذ يرى هؤلاء الباحثون أن شيشرون لم يكن يملك الشهود أو الأدلة المرتبطة بوقائع القضية التى سردها, وأنه استند (فقط) فى مرافعته إلى بعض الاحتمالات والتخمينات, ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- عدم معرفة سلا بموضوع مصادرة ممتلكات روسكيوس أمرينوس.
- التقرير الخاص باغتيال روسكيوس الذى وصل إلى معسكر سلا فى فولاتيراى بعد مرور أربعة أيام على حادثة الاغتيال (الفقرات ٢٠ , ١٠٥).
- زمن الرحلة التى قام بها جلاوكيا (Glaucia) من روما إلى أميريا فى نفس ليلة الحادثة (الفقرة ٩٧).

- نوع العربة التى استقلها جلاوكيا فى رحلته (الفقرة ٩٨).
- زيارة جلاوكيا لـ كابيتو (Capito) أولاً عندما وصل إلى أميريا (الفقرات ٩٦ – ٩٧).
- قرار مجلس مدينة أميريا بإرسال وفد إلى الديكتاتور سلا لتبرئة ذمة القتيل (الفقرة ٢٥).
- عرقلة كابيتو للوفد المرسل من أميريا لمقابلة سلا فى معسكره فى فولاتيراى (الفقرة ١١٠).
- شراء خريسوجونوس ممتلكات القتيل وإدراج اسمه فى قائمة المصادرات بعد إلغاء العمل بقانون المصادرات.

الحواشى :

(١) عبد المعطى شعراوى. النقد الأدبى عند الإغريق و الرومان. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٩٩, ص ص ١٦١-١٦٨.

(2) Plato. Phaedrus 264 c.

(3) Idem., Parmeides 145 a.

(4) Arist. Poet. 1450 B 25-26.

(5) Ibid., 1450 B 33-35.

(٦) محمد حمدى إبراهيم. دراسة فى نظرية الدراما الإغريقية. دار الثقافة و النشر. القاهرة ١٩٧٧. ص ص ٥٢-٥٥.

(٧) عبد المعطى شعراوى. المرجع نفسه , ص ١١٢.

(8) Arist. Rhet. I.1,1.

(9) Ibid., III.1,5.

(10) Gellius, A., Noctes Atticae 15. 28; Kinsey, T. E., "Cicero's Speech for Roscius of Ameria", S O 50(1970), pp. 41 – 104.

(11) Plutarch. Cic 3. 6.

(12) Seager, R. T., "The Political Significance of Cicero's Pro Roscio", LCM 7. 1 (1982), pp., 10 – 12; Kinsey, T. E., "The Political Insignificance of Cicero's Pro Roscio", LCM 7. 3 (1982), pp., 39 – 40; Mitchel, T. N., Cicero: The Ascendiny Years, p. 91; Buchheit, V., "Ciceros Kritik an Sulla in der Rede für Roscius aus Ameria, Hermes 24 (1975), pp. 570 – 91.

(13) Gelzer, M., Cicero. Ein Biographischer Versuch, 23.

(14) Cic. De off. 2. 14, 15.

(15) Ibid. Pro Rosc. Amer. 127: Nam Sullam et oratio mea ab initio et ipsius eximia virtus omni tempore purgavit.

(16) Diehl, H., Sulla und seine Zeit im Urteil Ciceros, pp. 149 – 50.

(17) Cic. Pro Rosc. Amer. 141 – 142.

(18) Ibid. Orat. 107: Quantis illa clamoribus adulescentuli

diximus de supplicio parricidarum, quae nequaquam satis defervisse post aliquanto sentire coepimus: "Quid enim tam commune quam spiritus vivis, terra mortuis, mare fluctuantibus, litus eiectus? ita vivunt, dum possunt, ut ducere animam de caelo non queant; ita moriuntur, ut eorum ossa terra non tangat; ita iactantur fluctibus, ut numquam adluantur; ita postremo eiciuntur, ut ne ad saxa quidem mortui conquiescant".

(19) Ibid., Brut. 106; De off. 2, 75.

(20) Riggsby, A. M., Crime and Community in Ciceronian Rome, 64.

كانت المحاكم فى البداية تعقد جلساتها فى الخلاء فى السوق الرومانية المعروفة بـالفوروم (forum)، وبعد ذلك أقيمت قاعات عامة فى الفوروم تُسمى باسيليكاى (Basilicae) عقدت فيها المحاكم جلساتها، وكان الناس يقصدونها من كل حدب وصوب للفصل فى قضاياهم ومشاكلهم اليومية، ومنازعاتهم القضائية.

يرجع تاريخ إنشاء أول محكمة دائمة (quaestio perpetua) فى روما إلى عام ١٤٩ ق.م، وكانت محكمة مختصة باسترداد الأموال المبتزة (quaestio de rebus repetundis)، وكان قُضاتها جميعهم من أعضاء مجلس السناتو. وبعد ذلك أُقيمت فى عصر الديكتاتور سولا (Sulla) محاكم دائمة بلغ عددها تسع وهى: محكمة خاصة بالقتلة (quaestio inter sicarios)، محكمة استرداد الأموال المبتزة (quaestio de rebus repetundis)، محكمة الخيانة العظمى (quaestio de maiestate)، محكمة الاغتيال والتسميم (quaestio de sicariis et venificis)، محكمة الاختلاس (quaestio de peculatu)، محكمة الرشوة فى الانتخابات (quaestio de ambitu)، محكمة التزوير (quaestio de falsis)، محكمة استخدام العنف (quaestio de vi publica)، محكمة تزييف الأموال (quaestio de nummis adulterinis).

(21) Tacit. Ann. II. 22; 12. 60; Cic. In Pis. 50; Pro Cluent. 148; In Verr. 2. 108.

(22) Cic. Pro Rosc. Amer. II.

(23) Kinsey, T. E., "The Sale of the Property of Roscius of Ameria": how illegal was it? AC 57 (1988), pp. 296 –7.

(24) Robinson, O. F., The Criminal law of Ancient Rome, p. 45.

(25) Aeschyl. Agam. 747.

(26) Ibid., Eum. 334 – 340.

يذكر الكاتب المسرحى الإغريقى إيسخيلوس (Aeschylus) فى مسرحيته "ربات الرحمة" (Eumenides) أن ربات الغضب والانتقام كن يتخذن هيئة ثعابين ذات شعر فى رأسهن, وذات منظر مرعب ومتعطش للدماء.

(27) Cic. Pro Rosc. Amer. 67.

(28) Ibid., 66.

(29) Ibid., 67.

(30) Ibid., 71.

(31) Ibid., 72.

(32) Egmond, f., "The cock, the dog, the serpent, and the monkey: reception and transmission of a Roman punishment, or historiography as history". IJCT 2 (1995), pp. 159 – 92.

(33) Modestinus, Digest. 48, 9, 9.

يذكر موديستينوس (Modestinus) فى كتابه "ملخص القانون" (Digest) أنه طبقاً لعادة الأسلاف كان قاتل الأب يُضرب بعصى لونها أحمر قان مثل لون الدم, ويُربط داخل كيس من الجلد ومعه كلب وديك وأفعى وقرد, ثم يُلقى بالكيس فى أعماق البحر أو النهر بغرض حرمانه من التمتع بعناصر الحياة الأساسية الأربع وهى السماء, والشمس, والماء, والأرض.

(34) Justinian, Institutiones 4. 18. 6: ut omni elementorum usu vivus areer incipiat et ei caelum superstiti, terra mortuo auferatur; Cic. Pro Rosc. Amer. 71.

(35) Landgraf, G., Kommentar zu Ciceros Rede Pro Sex. Rosc. Amer. 14.

(36) Arist. Rhet. III. XIV. XVI. XVII. XIX.

(37) Cic. Orat. 122 – 125.

(38) Arist. op. cit., III. XIV. 1 – 4.

(39) Weische, A., Nachahmung der attischen Redner, pp. 21– 2.

محمد رضا قطب علام. أسلحة الخطابة الرومانية وذخائرها البلاغية. ص ص٥٨ – ٦٣.

اقتبس شيشرون استهلالاً لمرافعته "فى الدفاع عن سيكستوس روسكيوس أمرينوس" يشبه نفس الاستهلال الذى استخدمه إيسوكراتيس فى خطبته "أرخيداموس" (Archidamus), ويتضح ذلك من خلال التشابه فى كل من الفكرة وبناء الجملة المركبة , حيث نلاحظ أن جملة شيشرون المركبة تتشابه فى بنائها مع جملة إيسوكراتيس المركبة, ففى بدايتها تظهر الجملة التأسيسية (The Principal Sentence), ثم تأتى بعد ذلك الجملة التابعة (The Subordinate Clause) التى تحتوى على جملة التناقض وتبجيله للخطباء القدامى البارزين.

(40) Cic. Pro Rosc. Amer. 2: si verbum de re publica fecisset, id quod in hac causa fieri necesse est, multa plura dixisse quam dixisset putaretur.

(41) Kinsey, T. E., "Cicero's case against Magnus, Capito and Chrysogonus in the Pro Sex. Roscio Amerino and its use the historian". AC 49 (1980), pp. 185 – 6.

(42) Ibid., 186, not. 10; 189, not. 5.

(43) Arist. Rhet. III. XVI. 1 – 2.

(44) May, J. M., Trials of Character: The Eloquency of Ciceronian Ethos. Pp. 21 – 2, 31.

(45) Cic. Pro Rosc. Amer. 33.

(46) Ibid.

(47) Arist. Rhet. III. VIII.

(48) Crawford, J. W., M. Tullius Cicero: The Fragmentary Speeches, 7 ff.

يظهر المدعى أروكيوس (Erucius) مع شيشرون فى قضية جنائية أخرى سابقة ـ كعضو من الأعضاء الذين كانوا يدينون فارينوس (L. Varenus), وقد استخدم شيشرون نفس الأسلوب الدفاعى وهو إلقاء المسئولية على المدعين, ولكنه لم يحقق نجاحاً يُذكر.

(49) Cic. Pro Rosc. Amer. 39, 42, 74.

(50) Vasaly, A., Representations: Images of the World in Ciceronian Oratory, pp. 156 – 72.

(51) Cic. Pro Rosc. Amer. 54.

(52) Wiedemann, T., Greek and Roman Slavery, pp. 148 – 9.

(53) Kinsey, T. E., " The Case against Sextus Roscius of Ameria", AC 54 (1985), p. 189.

(54) Cic. Pro Rosc. Amer. 74 – 5; Berry, D. H., Cicero: Defence Speeches, p. 5.

يرى بيرى (Berry) أن الإدعاء كانت لديه قضية ضعيفة.

(55) Cic. Pro Rosc. Amer. 72.

(56) Ibid., Brut. 97.

(57) Ibid., Pro Rosc. Amer. 84.

(58) Riggsby, A. M., Crime and Community in Ciceronian Rome, p. 64.

(59) Cic. Pro Rosc. Amer. 84.

(60) Hinard, Fr. Les proscriptions de la Rome républicaine, chapt. 1; Keaveney, A., Sulla: The last Republican, chapt. 8.

(61) Dyck, A. R., "Evidence and Rhetoric in Cicero's Pro Roscio Amerino: The Case against Sex. Roscius". Class. Quart, 53. 1 (2003), pp. 235 – 46.

(62) Cic. Pro Rosc. Amer. 17, 84, 100.

(63) Kinsey, T. E., "The Sale of the Property of Roscius of America: how illegal was it? A. C. 57 (1988), pp. 296 – 7; Cic. Pro Rosc. Amer. 133.

(64) Cic. Pro Rosc. Amer. 110.

(65) Ibid., 20.

(66) Ibid., 87.

(67) Kinsey, T. E., "The Lacuna in Cicero's Pro Sex sex Roscio Amerino". Revue de Philologie et d'histoire 67 (1988), pp. 78 – 9.

(68) Arist. Rhet. III. XIX; Weische, A., Nachahmung der attischen Redner, p. 186; Solmsen, F., Cicero's First Speeches. A rhetorical analysis, TAPhA 69 (1938), pp. 542 – 556.

(69) Isocr. Areop. 82.

كذلك يهدف إيسوكراتيس (Isocrates) فى خاتمة خطبته "الأريوباجيتيكوس (Areopagyticus) إلى إثارة عاطفة مستمعيه من جانب, ويذكرهم بما سبق أن قاله فى خطبته كلها من جانب آخر, فهو يعرض ما أصبح عليه الفقراء فى أثينا من سوء حالة تزداد يوماً بعد يوم, ثم يقدم سبيل الخلاص وهو تطبيق ديموقراطية الأسلاف, التى كانت توفر الحياة الكريمة للمواطنين الأثينيين.

(70) Ibid., Lochit. 22.

يعظم إيسوكراتيس فى خاتمة خطبته القضائية "ضد لوخيتيس" (Lochites) من شأن ما حدث له من ضرر, ويطلب من هيئة المحكمة الموقرة أن تلقى بغضبها على لوخيتيس لأن كل من هم على شاكلته يحتقرون القوانين القائمة.

(71) Riggsby, A. M., op. cit., 61,64.

(72) Kinsey, T. E., "Cicero's case against Magnus, Capito

and Chrysogonus in the Pro Sex. Roscio Amerino and

its use for the historian". AC 49 (1980), pp. 185 – 6.

(73) Ibid., p. 186, not. 10, 189, not. 5.

رسم توضيحى (diagram)

يبين التناسق (concinnitas) فى بناء مرافعة شيشرون الجنائية الأولى " فى الدفاع عن روسكيـوس أمرينـوس" طبقاً لنظرية أرسطو (Aristoteles) بالنسبة لتركيب وبناء الخطبة أو المرافعة (dispositio orationis) .

يتحقق التوافق بين الفقرات بالتوازى (parallelism) على النحو التالى :-

١- المقدمة (exordium) استطراد	**المفردات المزدوجات ١ ـ ١٢ ١٣ ـ ١٤**
٢- سرد وقائع القضية (narration)accusationis	١٥ ـ ٣٤
٣- المعالجة (tractatio)	٣٥ ـ ١٤٢
٤- الخاتمة(peroratio)	**١٤٣ ـ ١٥٤**

المفردات

١٢ فقرة تبدأ بالمفردات (١) وتنتهى بالمزدوجات (١٢) = ٢٧ + ٤٩ = ١٧٧

١١ فقرة تبدأ بالمفردات (١٤٣) وتنتهى بالمزدوجات (١٥٤) = ٢٩٧

٥٦٣ (مفردات) ← تناسق كمى عرضى

مفردات : مزدوجات ← تناسق كمى طولى

٣٥٦ : ٢٠٧

بالطرح ٣٥٦ ــ ٢٠٧ = ١٤٩ (مفردات)
بالجمع ٣٥٦ + ٢٠٧ = ٥٦٣ (مفردات)

تنتهى الفقرات بالتناسق الكمى الطولى بالمفردات (١٤٩ ،٥٦٣) ، كما تنتهى كذلــك الفقــرات بالتناسق الكمى العرضى بالمفردات (٥٦٣). وبذلك يتحقــق التوافق العام و الكلى بين فقرات المرافعة .

قائمة المصادر و المراجع

أولاً : المصادر :

Aristoteles	Ars Rhetorica . Ed. Kassel (R.) . Reprint . Berlin / New York (1976).
Cicero , Marcus Tullius	Pro Sex. Roscio Amerino. Ed. Clark (A.C.) Oxford (1965).
…….	In Pisonem ; pro Cluentio ; In Verrem . Ed. Clark (A.C.) Oxford (1965).
…….	De Officiis.Ed. Winterbottom (W.) , Reprint. Oxford (1994) .
Gellius , Aulus	Noctes Atticae .Ed. Marshall (P.K.). 2 vols. Reprint .Oxford (1990).
Isocrates	Opera Omnia .Ed. Preuss (S.) . Reprint. Hildesheim (1971).
Iustinianus Augustus	Digesta . Krüger (P.) .vol. I . Hildesheim (2000) ; vol. II . Dublin / Zürich (1963).
Plutarchus	Vitae Parallelae .Ed. Lindskog(C.) & Ziegler (K.).Teubner. Leipzig (1964).

ثانياً : المراجع :

١. المراجع باللغة العربية:

- عبد المعطى شعراوى. النقد الأدبى عند الإغريق و الرومان. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٩٩.
- محمد حمدى إبراهيم. دراسة فى نظرية الدراما الإغريقية. دار الثقافة و النشر. القاهرة ١٩٧٧.
- محمد رضا قطب علام. أسلحة الخطابة الرومانية و ذخائرها البلاغية. منشأة المعارف. الإسكندرية ٢٠٠٦

٢.المراجع باللغة الأجنبية:

- Berry (D. H) Cicero: Defence Speeches. Oxford, 2000.

- Buchheit (V) "Ciceros Kritik an Sulla in der Rede für Roscius aus Ameria". Hermes 24 (1975), pp. 570-91.

- Crawford (J. W) M. Tullius Cicero: The Fragmentary Speeches. Atlanta, 1994.

- Diehl (H) Sulla und seine Zeit im Urteil Ciceros. Hildesheim, 1988.

- Dyck (A. R) "Evidence and Rhetoric in Cicero's Pro Roscio Amerino: The Case against Sex. Roscio". Class. Quart. 53.1. (2003), pp. 235-46.

- Egmond (F) "The cock, the dog, the serpent and the monkey: reception and transmission of a Roman punishment, or historiography as history". IJCT, (1995), pp. 159-92.

- Gelzer (M) Cicero. Ein biographischer Versuch. Wiesbaden, 1969

- Hinard (F) Les proscription de la Rome reipublicaine. Roma, 1985.

- Keaveney (A) Sulla: The last Republican., London, 1982.

- Kinsey (T. E) "Cicero's Speech for Roscius of Ameria", SO 50 (1975), pp. 91- 104.

- ---------- "Cicero's Case against Magnus, Capito and Chrysogonus in the Pro Sex. Roscio Amerino and its use for the historians". AC 49 (1980).

- ---------- "The Political Significance of Cicero's Pro Roscio". LCM 7.3 (1982).

- ---------- "The Case against Sextus Roscius of Ameria". AC 54 (1985), pp. 188-96.

- ---------- "The Sale of the Property of Roscius of Ameria, how illegal was it?", AC 57 (1988).

- ---------- "The Lacuna in Cicero's Pro Sex to Roscio Amerino". Revue de philologie et d'histoire 67 (1988).

- Landgraf (G) Kommentar zu Ciceros Rede Pro Sex. Roscio Amerino, Leipzig, 1914, Repint. Hildesheim, 1978.

- May (J. M) Trails of Character: The eloquency of Ciceronian Ethos. Chapel Hill, 1988.

- Mitchell (T. N) Cicero: The Ascending Years. New Haven, 1979.

- Riggsby (A. M) Crime and Community in Ciceronian Rome. Austin, 1999.

- Robinson (O. F) The Criminal Law of Ancient Rome. London, 1995.

- Seager (R. J) "The Political Significance of Cicero's Pro Roscio". LCM 7.1 (1982), 10-20.

- Solmsen (F) "Cicero's First Speeches: A rhetorical analysis". TA Ph 64 (1938), pp. 542-556.

- Vasaly (Ann) Representations: Images of the World in Ciceronian Oratory. Berkeley, 1993.

- Weische (A) Nachahmung der attischen Redner. Heidelberg, 1972.

- Wiedemann (T) Greek and Roman Slavery, Baltimore and London, 1981.